Intihaa Journal
Available online at:
ISSN : المجلد (الرقم1) العدد(الرقم1)(السنة2024) : رقم صفحة البداية33 – رقم نهاية الصفحة48

السياسة اللغوية في الجزائر بين إفرازات الاستعماروعهد الاستقلال – مجال التعليم والتكوين أنموذجا-

Linguistic policy in Algeria between the outcomes of colonialism and the era of independence

The field of education and training as a model -

د.محمد نبيل بوعافية
مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب
كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة
nabilbouafia196@gmail.com
أ.د. إسماعيل سيبوكر
جامعة ورقلة
dr.ismailsiboukeur@gmail.com

تاريخ الاستلام2023/11/23 تاريخ القبول:2023/12/20 تاريخ النشر: مارس 2024

ملخص:

إنّ الحديث عن السياسة اللغوية المتبعة في الجزائر بعد الاستقلال يلقي بظلاله على حقبة زمنية طويلة تمتد إلى فترة الاستعمار الفرنسي؛ وهذا لأنّ الاستراتجيات التي وضعتها الدولة الجزائرية بعد التحرر كانت تصطدم بالواقع اللغوي الذي خلفه الاستعمار الفرنسي، والذي كان من أهم إفرازاته محاولة هدم اللغة العربية الرسمية واستبدالها باللغة الفرنسية، إلى جانب توسيع الهوة بين اللغة الأصلية وناطقيها، ومن هذا المنطلق فإن

هذه الورقة البحثية تسعى إلى إبراز الجهود المبذولة من الدولة في مجال التعليم والتكوين لإصلاح الوضع اللغوي الموروث من فترة الاستعمار، وذكر النتائج المتوصل إليها إلى حد الآن.

الكلمات المفتاحية: السياسة اللغوية، الجزائر، الاستعمار، الاستقلال، التعليم والتكوين.

Abstract-

Talking about the linguistic policy followed in Algeria after independence casts a shadow over a long period of time extending to the period of French colonialism, and this is because the strategies developed by the Algerian state after liberation clashed with the linguistic reality left by French colonialism, which was one of the most important outcomes of the attempt to demolish and replace the official Arabic language in the French language, in addition to widening the gap between the original language and its speakers, and from this logic, this research paper seeks to highlights the efforts made by the state in the field of education and training to reform the linguistic situation in hearted from the colonial period and mention the results reached so far

Keywords : language policy, Algeria, colonialism, independence, education and training .

1. مقدمة-

يعد الاحتلال الفرنسي من أبشع الاستعمارات التي عرفها التاريخ وأطولها مدة، ولقد قدم الشعب الجزائري من سنة 1830م إلى سنة 1962م تضحيات جسام فداء لوطنهم، فيما سعى المحتل الغاشم إلى تدمير مقومات الدولة الجزائرية وطمس هوية شعبها في كل جوانبها، ومحاولة استبدالها بهوية فرنسية لكن إصرار الشعب الجزائري على افتكاك حريته جعله يدفع بالغالي والنفيس في سبيل ذلك متكلا على الله ومؤمنا بقضيته إلى أن نال استقلاله في الخامس من شهر جويلية سنة اثنين وستين تسعمائة وألف، فخرج بذلك من معركة مقاومة المحتل إلى معركة بناء ما دمره الاستعمار.

ولأن اللغة العربية من أبرز تجليات الهوية الإنسانية لارتباطها بثقافة الأمم فقد سعى المستعمر الغاشم إلى القضاء عليها من خلال استبدالها باللغة الفرنسية، ولقد صرح بذلك بعد مجازر 08 ماي 1945 من خلال سن «القانون الأساسي» (زوزو، 2012، صفحة 224) للجزائر الذي أطلق عليه اسم: قانون الجزائر أو دستور الجزائر، وقد

صادق عليه البرلمان الفرنسي في عهد رئيس الجمهورية الفرنسية أور يال (Aurial)K ولقد تضمن هذا القانون في المادة العاشرة من الفصل الأول أن: " اللغة الفرنسية واللغة العربية معترف بهما بنفس الحقوق كلغتين رسميتين على قدم المساواة وعلى جميع الدرجات وفي جميع المدارس التعليمية العامة " (زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، 2010، صفحة 365).

ولأن اللغة ترتبط أشد الارتباط بكينونة الإنسان وثقافته لأنها " روح الأمة وحياتها، والتاريخ يكون ذاكرة الأمة وشعورها " (الحصري، دت، صفحة 386)فقد ارتبطت السياسة اللغوية في الجزائر بعد نيل الحرية والاستقلال في الخامس من شهر جويلية 1962 بعهد الاستعمار، ووجد السياسيون وأصحاب القرار أنفسهم في مواجهة وضع جد مزر كانت عليه اللغة العربية بعد الحرب التي شنها عليها المحتل محاولا استبعادها وإحلال اللغة الفرنسية مكانها وتوسيع الهوة بين اللغة العربية وناطقيها. وسنحاول في هذه الورقة البحثية أن نظهر الجهود التي قامت بها الجزائر من أجل استعادة مكانة اللغة العربية بعد الاستقلال في مجال التعليم والتكوين محاولين الإجابة على التساؤل التالي : ما هي الجهود المبذولة بعد الاستقلال لإصلاح الوضع اللغوي الموروث من فترة الاحتلال الفرنسي في مجال التعليم والتكوين ؟ وما هي النتائج المحققة؟

.

2. مفهوم السياسة اللغوي:

قبل الخوض في الحديث عن إستراتيجية السياسة اللغوية في الجزائر يلزمنا التعريف بالسياسة اللغوية لغة واصطلاحا، فهي متكونة من جزأين: السياسة واللغة، فأما السياسة فمشتقة لغة من الفعل "ساس". يقول الجوهري في الصحاح " سُسْت الرعية سياسة، وسُوِّس الرَّجُلُ أمور الناس، على ما لم يسمّ فاعله، وإذا مُلِّك أمرهم" (الجوهري، 2009، صفحة 571)وورد معناه في المعجم الوسيط بقوله: "ساس القوم فلانًا: ولّوه ريَاستهم وقيادتهم، ويقال : أسَاسُوا فلانًا أمورهم: ولَّوْهُ إيَّاها " (أنيس، 2004، صفحة 462). ويقال : " هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته " (الزبيدي، 1965، صفحة 175).

ولا يبتعد المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي لها حيث إنّ مفهومها الاصطلاحي كما ورد في موسوعة السياسة هي: " فن ممارسة القيادة والحكم وعلم السلطة أو الدولة، وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم " (الكيلاني، 1994، صفحة 362) وورد هذا المفهوم كذلك في حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في قوله:" كانت بنو إسرائيل تسوسُهم الأنبياء كُلَّمَا هَلكَ نبيٌّ خلفَه نبيٌّ، وإنّه لا نبيَّ بعدي، وسيكون خلفاءُ فيَكثُرون، قالوا فما تأمُرُنَا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، أَعْطُوهم حَقَّهُم فإنَّ اللهَ سائِلُهُم

عمَّا استَرعَاهُم" (البخاري، 2018، صفحة 3455)ففي عبارة « تسوسهم الأنبياء» دلالة على توليهم الأنبياء لأمور الرعية وتدبير شؤونهم كما يفعل ذلك الحكام والولاة .

وأما اللغة فأصلها: " لُغَيٌ أو لُغَوٌ، والهاء عوض، وجمعها لُغًي مثل: بُرَه و بُرًى، ولُغاتٌ أيضا. وقال بعضهم لغاتَهم بفتح التاء، وشبهها بالتاء التي يوقف عليها بالهاء. والنسبة إليها لُغَويّ... واللَّغا: الصوت مثل الوَغا ويقال أيضا: لَغِيَ به يَلْغَى.لَغًا؛ أي: لَهِجَ به " (الجوهري، 2009، صفحة 1039) .

وأما في الاصطلاح فإن ابن جني يعبر عن اللغة بقوله :" حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (جني، 2006، صفحة 33)، ويقول عنها ابن خلدون: " اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشيء عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم" (خلدون، 1988، صفحة 53).

ويظهر من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي أن اللغة لا تحدها الألفاظ والكلمات بل هي أشمل من ذلك إذ تشمل الأصوات لأنها أعم وأشمل، وبها يتم التواصل بين المتكلمين والمتخاطبين لنقل المعاني والتعابير .

وأما السياسة اللغوية فهي تركيب لجزأين اثنين متقاربين ومتداخلين بعضهما ببعض، ويعرفها لويس جان كالفي في كتابه حرب اللغات والسياسات اللغوية بقوله: " نحن نعتبر أنّ السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية، وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن" (كالفي، 2008، صفحة 221)أو هي "قرار تتخذه أمة أو مؤسسة ما، وذلك للتعامل مع اللغة أو اللغات التي يستعملها شعب أو مجتمع ما، مثل : اتخاذ اللغة العربية الفصحى أداة للتعليم والإدارة والتواصل الرسمي بين أفراد المجتمع" (إسماعيل، 2015، صفحة 06)، ومعناه أن من يقر هذه السياسة هم السياسيون وأصحاب القرار من خلال سن قرارات للتعامل مع اللغة الرسمية واللغات الأخرى داخل الدولة.

كما أنه يمكن اعتبار السياسة اللغوية هدفا من أهداف السياسة العامة للدولة لتدبير شؤون المجتمع مع ما يتماشى مع تطلعات أفراده وطموحاتهم من جهة، وهدف من أهداف السياسة التعليمية في البلاد، والتي ترمي إلى إكساب الأفراد معارف وأفكار تعيينهم في بناء ذواتهم وبناء مجتمعهم، فكريا ومعرفيا وثقافيا وغيرها من مجالات الحياة الاجتماعية .

2-أهمية السياسة اللغوية:

تبرز أهمية السياسة اللغوية في بلد يملك زمام سلطته في كونه يتتبع الجهود المبذولة لإصلاح الوضع اللغوي الموروث، و إرساء نظام وطني للتعامل الإيجابي مع المسألة اللغوية في عمومها، ومع اللغة الوطنية بصفة خاصة، وتحديد نظرة المسؤولين وموقفهم من هذه اللغة، والمساعي المبذولة في سبيل تعزيز صلة المجتمع بلغته وتقوية اهتمامه بها؛ لأنها المميزة له والمعبرة عن شخصيته انطلاقا من كون اللغة جزءا من المجتمع، ومن الحقائق التي تعيش في أعماق وجدان أفراده، فهي تعتبر عندهم الروح والقلب ونمط التفكير، ونظرتهم إلى ذاتهم وذوات الآخرين، (فضيل، 2014، صفحة 90) ولا يتأتى ذلك إلا من خلال قرارات سياسية واعية من السلطة الوطنية التي لها يرجع القرار أولا وأخيرا، ويكون ذلك من خلال تكييف التغيرات التي يمكن أن تطرأ على اللغة حسب ما يقتضيه الواقع الاجتماعي.

3-السياسة اللغوية في الجزائر إبّان الاستعمار الفرنسي:

لقد تعاقبت على الجزائر العديد من المماليك والإمبراطوريات من القرطاجيين والنوميديين إلى هيمنة البيزنطيين والرومان والوندال ثم الأقليات المستقلة، إلى أن جاء القرن السابع أين بدأ الفتح الإسلامي في منطقة المغرب العربي من الرستميين وصولا إلى الموحدين ثم الدولة العثمانية التي ازدهرت وقتها الجزائر ازدهارا لم يسبقه في أمم الأولين، ويقول المؤرخ الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم واصفا الجزائر في تلك الفترة: " الجزائر لم تكن فقط دولة، ولم تكن فحسب دولة عظمى **grande puissance** بل كانت في قمة الدول العظمى **grande super puissance** وحتى السفراء والمبعوثون الذين يرسلون إلى دايات الجزائر من رؤساء دولهم كانوا يستشعرون ذلك عند بدء مهمتهم" (بلقاسم، 2007، صفحة 332).

هذه المكانة والقيمة الرفيعة للجزائر تلك الفترة أدت إلى تكالب الدول الأوروبية وطمعهم في ثرواتها؛ لأن الجزائر كانت عندما تذكر يسيل لعاب الأوروبيين لما فيها من خيرات وأموال، و بدأت معها سلسلة من الهجمات البحرية من الإسبان والبريطانيين والهولنديين والدانمركيين والفرنسيين وغيرهم إلى أن سقطت في أيدي الفرنسيين بعد حصار دام مدة 3 سنوات امتدت من سنة 1827 إلى 1830 بعد انهزام الأسطول الجزائري والعثماني في معركة نافرين ثم حادثة المروحة التي كانت ذريعة مهدت بها فرنسا احتلال الجزائر الذي بدأ معه غزو الأرض والإنسان والدين والثقافة واللغة.

ولقد سعى المستعمر فيها إلى محاولة طمس الهوية الوطنية التي من أهم عناصرها اللغة وذلك من خلال محاولة تغريب الشعب الجزائري من خلال سنّ سياسة لغوية جديدة تهدف إلى القضاء على التعليم واللغة والدين والثقافة، يقول وزير التربية الفرنسية رامبو:" لقد انتهى الغزو الأول للجزائر الذي تم بالسلاح عام 1871 وتطلب الغزو الثاني حمل الجزائريين على تقبل إدارتنا وقضائنا، أما الغزو الثالث

فسيتم بالمدرسة : يجب أن تحقق المدرسة الفرنسية تفوق لغتنا على مختلف اللهجات وترسخ في أذهان الجزائريين عظمة فرنسا ودورها في العالم" (حلوش، 1999، صفحة 93) .

وتظهر بعض التقارير الفرنسية المرسلة سنة 1947 ما يلي: " الجزائر لن تصبح فرنسية إلّا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها، والعمل الجبار الذي يتحتم علينا إنجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي إلى أن تقوم مقام العربية، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا، وإدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين " (حسين، 2011، صفحة 49).

ولأن اللغة العربية كانت متجذرة عند الجزائريين بعد الفتوحات الإسلامية التي سعت إلى تعريب المناطق المفتوحة ونشر الإسلام فيها يقول مبارك الميلي: " لما جاء العرب إلى المغرب كان انتشار لغتهم مسايرا لجنودهم، فما فُتحت قطعة منه حربيا إلا انتشرت بها لغتهم، وكان لذيوع حضارتهم بين البربر نفس السرعة التي كانت لفتوحتهم " (الميلي، 1986، صفحة 40) .

ولأن المستعمر الفرنسي لا يؤمن إلا بالنصب والسلب فقد سعى لعملية مسخ ثقافة الشعب محاولا القضاء على العلم والتعليم ونشر الأمية، فبعد ثلاثين سنة من الاحتلال فقط ارتفعت نسبة الأمية من أقل من 20 % إلى أعلى مستوياتها، ففي وقت الثورة وصلت نسبة الأمية إلى أكثر من 80 % وصاحب ذلك محاولة توسيع الهوة بين اللغة العربية ومتكلميها من جهة، وإحلال اللغة الفرنسية مكانها من جهة أخرى، وكل ذلك في سبيل تحقيق التوسع اللغوي والثقافي والديني للفرنسية في الجزائر ثم القارة الإفريقية؛ ولهذا فقد " عملت فرنسا على إحلال اللغة الفرنسية مكان اللغة العربية؛ لأنها أدركت أنه لن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته " (خلوي، 2017، صفحة 34)

ويكون منشأ هذا التحول " من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللغة للعاطفة والفكر حتى إنّ أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة، ونشأ الثاني على أخرى، والثالث على لغة ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء " (الرافعي، 2000، صفحة 27) .

وراحت فرنسا تملأ الجزائر بالمعمرين الفرنسيين الناطقين باللغة الفرنسية والمدرسين الذين يعلمون أبناء الشعب الجزائري – ولو بنسبة قليلة – شتى العلوم والمعارف باللغة الفرنسية كذلك، فيما انحصرت اللغة العربية على الكتاتيب والزوايا التي تدرس القرآن الكريم، وفي التعليم بنسب ضئيلة لتصبح مادة غير إلزامية على خلاف اللغة الفرنسية التي انتشرت في المؤسسات التعليمية والإدارية

وقنوات التواصل من جرائد ومذاييع وكتب، وهذا الوضع ساهم في تفشي الأمية نظرا لعزوف العديد من المتمدرسين عن تعلم هذه اللغة التي كانت تمثل عندهم لغة المحتل الغاشم.

هذا الوضع الذي أرادته السلطة الاستعمارية للغة العربية في الجزائر جعلها تقع فيها شباكها؛ حيث شكلت اللغة الفرنسية وعيا كبيرا لدى الشعب بضرورة المقاومة وافتكاك الحرية، وذلك لأنّ أغلب زعماء أحزاب الحركة الوطنية واللجنة الثورية كانوا قد تلقوا تعليمهم الأول في المدارس والمنظمات النقابية اليسارية الفرنسية، وخير دليل على صحة ذلك أنّ أغلب المعاهدات والاتفاقيات الموقعة مع المحتل في إطار المفاوضات كانت باللغة الفرنسية، ولقد شكل ذلك دراية عند هؤلاء الزعماء بنوايا المستعمر الاستيطانية وسبله لطمس هوية الشعب الجزائري والقضاء على مقدساته.

ويظهر دور جمعية العلماء المسلمين في هذا المجال من خلال السياسة اللغوية التي اتبعتها لإصلاح أفراد المجتمع الجزائري وتنقية بيئته الدينية والثقافية والوطنية والعلمية. يقول الإمام عبد الحميد بن باديس: " لا رابطة تربط بين ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر ومستقبلنا السعيد، إلّا هذا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة " (الطالبي، 1997، صفحة 265). فهو يعتبر اللغة العربية من أهم مقومات المواطن الجزائري، وأنّ كلّ مساس بها يشكل تحولا في شخصيته دينيا ووطنيا وقوميا وفكريا.

4- حالة اللغة العربية بعد الاستقلال:

لقد ساهمت نسبة الأمية المرتفعة عند الشعب الجزائري في استمرار هيمنة اللغة الفرنسية بعد الاستقلال؛ لأنّ معركة البناء بدأت لتشمل جميع الهياكل القاعدية للدولة، ولأنّ الموظفين الذين تم تعيينهم في الإدارات والمؤسسات التعليمية كانوا من النخبة القليلة التي تمدرست في المدارس الفرنسية وقت الكولونيالية، ساهم كذلك بشكل كبير في بقائها بعد الاستقلال لمدة طويلة لعدم وجود بديل عنها في التعاملات الإدارية والتعليمية.

ولهذا فقد وجدت اللغة العربية نفسها بعد الاستقلال ما تزال تعاني من الانحصار والإقصاء الذي أراده لها المحتل مسخرا له كل الوسائل القانونية والسياسية والإدارية بصيغة مباشرة أو غير مباشرة، وتصرح التعليمة الفرنسية التي وجهت إلى حاكم الجزائر في أوائل الاحتلال بذلك، حيث جاء فيها أنّ " إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلّا عندما تصبح لغتنا هنا لغة قومية، والعمل الجبار الذي يتوجب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية " (الشيخ، 1972، صفحة 113).

ولم يغفل قادة الثورة النوفمبرية عن هذه النوايا، بل عرفوا ما يترصدهم ويترصد لغتهم، لذا فقد عرفت اللغة العربية معهم انتعاشا؛ حيث تم التعامل بها في الاتصالات والمراسلات والخطب والأخبار المكتوبة والمسموعة، وحتى في السجون كانت اللغة العربية تصدّر للمساجين فكانوا يتعلمونها ويعلمونها كي تتوسع وتنتشر في سبيل استعادة أمجادها وتحضير الأجواء الثقافية التي تنسجم مع عهد الاستقلال الذي أيقنت القيادة الثورية أنه آت لا محال عاجلا أو آجلا .

5- السياسة اللغوية في مجال التعليم والتكوين بعد الاستقلال:

لقد كان الفاتح من شهر نوفمبر سنة 1954 إيذانا ببزوغ فجر جديد للعربية، ولقد تجسد ذلك من خلال محاولة تعميمها من طرف قادة الثورة، وبعد استقلال الجزائر سنة 1962 وجد قادة الثورة والبناء أنفسهم في مواجهة واقع مرير كانت تعانيه لغة الدين والأجداد نظرا لهيمنة اللغة الفرنسية واكتساحها لمرافق الدولة وتجذرها فيها لمدة طويلة من الزمن مما يصعّب أمر التعريب والتصحيح بين عشية وضحاها، لذلك فقد اتبعت الجزائر منذ الاستقلال سياسة لغوية حاولت من خلالها أن ترد للغة العربية مكانتها، ولذلك فقد ظهرت مجموعة من الجهود والمبادرات الهادفة إلى معالجة المشكلة اللغوية وصيانة اللغة العربية من كل الأخطار التي تهدد وجودها، ويمكن أن نتعرض هنا لميدان التعليم والتكوين كأنموذج من نماذج التصحيح والتخلص من التبعية اللغوية، وتتمثل فيما يلي:

1.5.تحديد لغة التعليم والتكوين:

إن النشاط التربوي المبني على التحاور بين المتعلمين والمعلمين، وتنفيذ البرامج التعليمية يعتمد أساسا على اللغة، لذلك كان لزاما على صناع القرار بعد الاستقلال أن يحددوا لغة التعليم والتكوين، ولأنّ اللغة العربية لم يكن لها وجود في برامج التعليم والتكوين الموروثة عن النظام الفرنسي فإنّها تنتظر قرارا سياسيا لترسيمها لغة رسمية للدولة؛ لأن اللغويين لا يمكنهم اتخاذ القرار لوحدهم بل يتطلب ذلك قرارا حكوميا يصادق عليه البرلمان أو يذكر في الدستور، ولقد حظيت اللغة العربية حقيقة باهتمام كبير فقد مهّد بيان الفاتح من نوفمبر الطريق لترسيمها، وأشاد بها زعماء المقاومة، وجعلتها جمعية العلماء المسلمين من الأولويات، وانطلقت " جهود كبيرة رامية إلى تصحيح الوضع اللغوي من خلال الشروع في تعليمها للناشئة، وإيجاد الظروف التي تمكن اللغة من استرجاع مكانتها، وتمكن الأجيال من تعلم لغتهم وامتلاك أساليب التعبير بها، ثم ارتقت هذه الجهود إلى مستوى آخر هو التعليم بها؛ أي جعلها أداة توصيل المعارف للمتلقين تمهيدا لتهيئتها وتأهيلها لممارسة العمل بها من خلال إدراجها كوسيلة عمل في الحياة العملية " (فضيل، اللغة ومعرفة الهوية في الجزائر، 2013، صفحة 45) .

ولقد كانت الجزائر من بين الدول التي عاشت ظروفا تاريخية واجتماعية صعبة انبثق عنها وجود أكثر من لغة في ثقافتها الوطنية، ولذلك فقد كان التحدي يتمثل في إرساء سياسة رشيدة تضمن أهداف العدالة والموازنة في عملية التقنين وترسيم المحتوى اللغوي، حيث يشارك في هذه العملية رجال السياسة والتعليم والخبراء والمثقفون وجمعيات أولياء التلاميذ، وكل من يهمهم شأن التعليم بشكل من الأشكال، وبما أنّ اللغة الوطنية هي الرابط بين أبناء الشعب الواحد والأمة الواحدة، فإذا نالت اللغة حقها من العناية في المدارس والمعاهد ووسائل الإعلام عملت على توثيق هذه الروابط (الإبراهيمي، 2007، صفحة 190)، وقد أُستهدف التعليم بشكل خاص كونه الأداة الأولى لنشر اللغة الرسمية وترقيتها .

2.5.قرارات ترسيم اللغة العربية:

من الاستراتيجيات التي اتخذتها الدولة الجزائرية في الفترة الانتقالية بعد الاستقلال في إطار السياسة اللغوية هو ترسيم اللغة العربية، ويظهر ذلك من خلال القرارات التي تم سنّها بعد ذلك والمتمثلة فيما يلي (فضيل، اللغة ومعرفة الهوية في الجزائر، 2013، الصفحات 46-47):

- مرسوم يحدد مصير اللغة العربية في البلاد ويجسد في الدستور الوطني الأول الذي كان في سنة 1963، والثاني سنة 1976 وتنص المادة الثالثة منهما على أنّ « اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية ».

- صدور أول قرار في بداية الاستقلال خاص " بترسيم تدريس اللغة العربية في جميع مستويات التعليم بواقع سبع ساعات في الأسبوع، وينفذ هذا القرار حسب الإمكانيات المتوفرة ".

- القرار الذي يقضي بالشروع في تعريب التعليم بداية من تعريب السنة الأولى ابتدائي حيث تم ذلك في الموسم الدراسي 1965/1964، تلاه تعريب السنة الثانية ثم الثالثة بعد توقف لم يطل كثيرا، خصصت الجهود الأولى في هذه المرحلة بتعريب السنة الرابعة في مطلع السبعينات، أين أصبحت الصفوف الأربعة الأولى من التعليم معرّبة وموحدة.

- المرسوم الذي يعرب تدريجيا المواد الاجتماعية (تاريخ، جغرافيا، فلسفة، تربية) في كامل مستويات التعليم العام ومؤسسات التكوين.

- الأمر الرئاسي 04 بتاريخ 1968/04/26 الذي يقضي بإجبارية معرفة اللغة العربية على كامل الموظفين ومن يماثلونهم .

- المرسوم الذي يسن التعريب للمواد العلمية مع تعريب شعب الآداب بجميع موادها، ولقد نتج عن هذا الإجراء إزدواجية في التعليم، نظام يُعنى بتلقين المواد العلمية بالعربية ابتداء من الصف الخامس الابتدائي إلى نهاية التعليم الثانوي، ونظاما موازيا يُعنى بتلقين المواد نفسها بالفرنسية، حيث ظهرت الأقسام المزدوجة والأقسام المعربة.

- القرار الذي يعتمد التعليم الأساسي بتاريخ 1976/04/16 ويجعل اللغة العربية لغة تعليم جميع المواد، ويحدد دور اللغة الأجنبية باعتبارها لغة مساعدة يدرج تعليمها في الصف الرابع.

- قرار تعريب ثلثي الأقسام المتبقية وتوحيد لغة التعليم في جميع المراحل واستمر لعام 1989حيث أصبح جميع التلاميذ يتلقون برنامج موحد وبلغة واحدة، ويركز على توجيه لغة التعليم وتجاوز حالة الانقسام لتصحيح الوضعية الانتقالية، ولقد امتد هذا الإجراء إلى توحيد الفروع في أقسام كليات العلوم الإنسانية في الجامعة بحيث تم إلغاء الفروع التي كانت تهيء الطلاب باللغة الفرنسية.

- الإجراء المتضمن تنفيذ قرارات اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني بخصوص الدعوة إلى تنفيذ توصيات الندوة الوطنية الأولى للتعريب التي انعقدت عام 1975 بإشراف الرئيس الراحل هواري بومدين، وقد شملت التوصيات عددا من المجالات منها: تعريب الحالة المدنية، وتعريب مظاهر المحيط والأختام الرسمية، والشروع في تعميم العمل باللغة العربية في المصالح المتعاملة مع الجمهور، وغير ذلك مما جاء في توصيات الندوة التي غطت كل المجالات بما فيها مجال التعليم العالي.

- تعريب الجرائد التي كانت تصدر باللغة الفرنسية ومعها البرامج الإعلامية وإنشاء جرائد ومجلات باللغة العربية.

3.5.التعريب:

لقد اتبعت الجزائر بعد الاستقلال سياسة لغوية هدفها إرجاع مكانة اللغة العربية، وانطلق التصحيح اللغوي الذي انتهج سياسة التعريب الذي كان " اختيارا أساسيا، فهو محور أساسي في سياستها اللغوية والثقافية، فمنذ سنة1962 أعربت الجزائر عن انضمامها واندماجها في الرقعة الحضارية الثقافية للأمة العربية والمجموعة الإسلامية بتبنيها المبدأين الأساسيين اللذين ستؤسس عليهما سياستهما الاجتماعية والثقافية، ألا وهما إحياء اللغة العربية وإعلان الإسلام دينا للشعب والدولة، فكانت الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذا الهدف تتمثل في وضع سياسة التعريب من أجل القضاء على آثار الاستعمار الثقافي

والدمار الناجمة عن سياسة الإدماج التي مارستها فرنسا " (الإبراهيمي، 2007، الصفحات 187-188) كان التعريب من بين أهم الأدوات التي استعملها صناع القرار بعد الاستقلال لمقاومة المستعمر وإرجاع السيادة والهيبة للدولة الحديثة وإعلاء قيمة لغتها التي تمثل هوية شعبها، ولقد مرّ التعريب في المنظومة التربوية الجزائرية بثلاث مراحل هي (بلعيد، 2012، صفحة 244):

المرحلة الأولى: (1962-1970):كانت المحاولة الأولى تقضي باستعمال اللغة العربية في السنوات الأولى من التعليم الإبتدائي، ولقد توّج الموسم الدراسي 1965/1964 ببداية تطبيق القرار، ثم تلاه تعريب السنة الثانية ثم الثالثة، وفي مطلع السبعينات جاء تعريب السنة الرابعة، ولقد أدّى افتقار الجزائر للإمكانات المادية والبشرية لتطبيق ذلك إلى محاولة استعادة المدرسين الجزائريين الموجودين في الخارج، بالإضافة إلى الاستعانة بمدرسين أجانب من المشرق العربي.

المرحلة الثانية:(1971-1979): لقد أطلق عليها الرئيس الراحل هواري بومدين «سنة التعريب»، فأصدرت توسع لزوم معرفة اللغة العربية والتعريب في جميع القطاعات، كما حظي التعليم العالي باهتمام كبير، وخصصت له وزارة، وفي هذه المرحلة أيضا جرى تعريب ثلث أقسام التعليم العام للأقسام المفتوحة من الصف الخامس، وصولا إلى إعادة تعريب أقسام الثانوية تخصص الأدب، وتعريب المواد الاجتماعية ومادة الفلسفة، إضافة إلى تعريب جميع معاهد تكوين المعلمين لمرحلة التعليم الأساسي والثانوي سنة1973.

المرحلة الثالثة: من سنة 1980 إلى اليوم: وتم فيها تعريب جميع الأطوار التعليمية، حتى الحساب يدرس باللغة العربية، ثم تعريب التعليم العالي وإدارته من خلال المرسوم الصادر في 1981/08/18. والقاضي بتعريب العلوم الاجتماعية، أما العلوم الطبية والعلوم الدقيقة فلغة التدريس هي الفرنسية؛ وكانت أول دفعة معربة سنة 1984، كما شمل التعريب الأساتذة بتحويلهم من مدرسين للغة الفرنسية إلى مدرسين باللغة العربية، ولم يشمل التعريب التعليم فقط بل امتد لوسائل الإعلام والاتصال، وحتى تعريب المحيط الاجتماعي.

4.5.بناء نظام تربوي جزائري:

لقد وجدت الجزائر نفسها بعد الاستقلال أمام منظومة تربوية بعيدة كل البعد عن الواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيشه الجزائريون آنذاك؛ لأنّ المضامين والمناهج التي سطرت كانت موجهة بالخصوص للمعمرين الفرنسيين أو بعض الطبقات الاجتماعية الجزائرية، لإضافة إلى مغادرة معظم الفرنسيين غداة الاستقلال .

هذا الوضع ألزم الدولة أن تستجيب لطموحات الشعب وأن تبرز هويته ووطنيته من خلال ضمان حقه في التربية والتعليم، ويظهر ذلك في السنوات الأولى للاستقلال حيث تم الإفراج على بناء نظام تربوي جزائري مستمد من الأبعاد التاريخية والحضارية للأمة الجزائرية والمقاومات الشعبية وأدبيات الحركة الوطنية، حيث تكفلت الوزارة بتنصيب لجنة تكلف بإعادة النظر في هيكلة المنظومة التربوية من حيث الأهداف والغايات، والبرامج، والمواقيت الرسمية، ولغة التعليم، وغيرها. وذلك بموجب مرسوم مؤسس في 1962/09/27 حيث نصبت لهذا الغرض اللجنة رسميا سنة 1964 مؤكدة من خلال النصوص والمواثيق الرسمية مجموعة أهداف كان أهمها التأكيد على:

- البعد الوطني.
- ديمقراطية التعليم.
- التعريب.
- الجزأرة.
- الخيار العلمي والتكنولوجي (المجلس الأعلى للتربية، 1998، صفحة 11).

6.تقييم المبادرات والاقتراحات:

- تعتبر الجزائر من بين أثرى الدول تجربة في مجال تعريب التعليم رغم المعاناة والانتكاسات المتتالية نظرا لتحصّن الإدارة والتعليم من التعريب منذ الاستقلال؛ وذلك لصعوبة التخلص من اللغة الفرنسية التي تجذرت فيها منذ عقود .

- كانت الخطوة الأولى من التعريب تشكل تحوّلا من العناية بتعليم اللغة إلى العناية بجعلها أداة للتعليم لكنها كانت ارتجالية تفتقر إلى خطة مدروسة، وتشكل سنة 1975 من المرحلة الثانية للتعريب ميلادا للمدرسة الجزائرية التي احتلت فيها اللغة العربية مكانة رفيعة، وفجرا جديدا للتعريب عرفت تزايدا معتبرا للتلاميذ المتمدرسين، ولكن قضية التعريب منذ الاستقلال إلى يومنا هذا لا تزال قائمة، وتبذل فيها الدولة مجهودات جبارة لإنجاحها.

- لقد سعت الدولة لبناء نظام تربوي جزائري من خلال التوظيف المباشر للمربين والمساعدين التربويين، وإعادة اللغة العربية إلى مركزها الطبيعي، وبناء المرافق التعليمية في كل نواحي الوطن، وتأليف

الكتب المدرسية وتوفير الوثائق التربوية، إضافة إلى اللجوء إلى عقود تعاون مع البلدان الشقيقة والصديقة، ومحاولة تعميم التعليم وإيصاله إلى المناطق النائية.

- لقد شكل الضعف في التعامل مع اللغة العربية والتراخي السياسي في اتخاذ القرارات الإيجابية والمسؤولة فيما يتعلق بالتصحيح اللغوي اختلالا كبيرا للغة العربية في الجزائر ولقد امتدّ من وقت الاستقلال إلى اليوم.

خاتمة:

إن تحليل واقع السياسة اللغوية في الجزائر بعد الاستقلال يحيلنا للحديث عن وضع اللغة العربية وقت الاحتلال الفرنسي، وسياسة المستعمر تجاهها؛ وذلك لأنّ الإستراتيجية اللغوية التي وضعتها الدولة الجزائرية بعد التحرر كانت تصطدم بالواقع اللغوي الذي خلفه الاستعمار الفرنسي، والذي ركّز فيه المستعمر على محاولة هدم اللغة العربية الرسمية واستبدالها باللغة الفرنسية، إلى جانب توسيع الهوة بين اللغة الأصلية وناطقها، وفي هذا الإطار فقد خلصت هذا البحث إلى النتائج التالية:

_ لقد سعت السياسة اللغوية الفرنسية وقت الاحتلال إلى طمس الهوية الوطنية والتاريخية عند الجزائريين، والتي من أهم عناصرها اللغة التي لم يرد المستعمر لها البقاء لأنّها تمثل عنده الدين والقومية والوطنية، وبقاؤها موجودة يهدد بقاءه .

- لقد انكشفت نوايا المستعمر تجاه لغتهم عند الجزائريين، وعرف زعماء المقاومة وعلماء جمعية العلماء المسلمين وقادة الثورة ما يترصدهم ويترصد مقومات شخصيتهم العربية الإسلامية فراحوا يدافعون عنها، دافعين في سبيل ذلك بالغالي والنفيس.

- لقد اتبعت الجزائر بعد الاستقلال في مجال التعليم والتكوين سياسة لغوية حاولت من خلالها أن ترد للغة العربية مكانتها، ولقد كان من أهم مظاهرها: اختيار لغة التعليم والتكوين ، والتعريب، وبناء نظام تربوي جزائري.

- قطعت الجزائر شوطا كبيرا في مجال تعريب التعليم رغم المعاناة والانتكاسات المتتالية نظرا لتحصّن الإدارة والتعليم من التعريب منذ الاستقلال؛ وذلك لصعوبة التخلص من اللغة الفرنسية التي تجذرت فيها منذ عقود .

- قد شكل الضعف في التعامل مع اللغة العربية والتراخي السياسي في اتخاذ القرارات الإيجابية والمسؤولة فيما يتعلق بالتصحيح اللغوي اختلالا وتذبذبا كبيرا للغة العربية في الجزائر ولقد

امتدّ من وقت الاستقلال إلى اليوم، وذلك لأنّه كان على المسؤولين أ، ينظروا للغة على أنّها تجسّد طريقة تفكيرنا ووجهتنا الثقافية.

وعليه فإن السياسة اللغوية التي ينبغي أن تجسد هي التي تستقى من مبادئ ثورة الشعب المجيدة، وقيم حضارتها الإسلامية، وخصوصية مجتمعنا الجزائري .

قائمة المراجع:

الكتب:

إبراهيم أنيس وآخرون. (2004). المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية. مصر. ط4 .

ابن جني. (2006). الخصائص. عالم الكتب . بيروت-لبنان. دط.

ابن خلدون. (1988). ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. دار الفكر. بيروت-لبنان. ط2 .

أبو خلدون ساطع الحصري. (دت). ماهي القومية؟ أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت-لبنان. ط2 .

البخاري. (2018). كتاب أحاديث الأنبياء. دار ابن كثير. بيروت-لبنان. دط.

الجوهري. (2009). تاج اللغة وصحاح العربية. دار الحديث. القاهرة-مصر. دط .

الزبيدي. (1965). تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية. الكويت. دط .

خولة طالب الإبراهيمي. (2007). الجزائريون والمسألة اللغوية. دار الحكمة. الجزائر. دط .

عبد الحميد زوزو. (2012). الفكر السياسي للحركة الوطنية والثورة التحريرية. دار هومة. الجزائر. دط .

عبد الحميد زوزو. (2010). محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في الحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية. ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر.

عبد القادر حلوش. (1999). سياسة فرنسا التعليمية. دار الأمة للنشر والتوزيع. الجزائر. دط .

عبد القادر فضيل. (2013). اللغة ومعرفة الهوية في الجزائر. جسور للنشر والتوزيع. الجزائر. ط1.

عبد الوهاب الكيلاني. (1994). موسوعة السياسة. الموسوعة العربية للدراسات والنشر. بيروت-لبنان. دط .

عمّار الطالبي. (1997). آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر بوداود. الجزائر. ط3 .

المجلس الأعلى للتربية. (1998). المبادئ العامة للسياسة التربوية وإصلاح التعليم الأساسي. الجزائر.

لويس جان كالفي. (2008). حرب اللغات والسياسات اللغوية. المنظمة العربية للترجمة. بيروت-لبنان. ط1 .

مبارك الميلي. (1986). تاريخ الجزائر في القديم والحديث. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. دط .

مصطفى صادق الرافعي. (2000). مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان. ط1 .

مولود قاسم نايت بلقاسم. (2007). شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830. دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر. ط2 .

مقال في مجلة:

بوعمران الشيخ. (1972). المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من (1880-1940). مجلة الأصالة. العدد 06. الجزائر .

شلوف حسين. (2011). التعدد اللغوي في التخطيط التربوي الجزائري، الواقع الآفاق . مخبر الممارسات اللغوية. ج2. تيزي وزو. الجزائر .

شميسة خلوي. (2017). السياسة اللغوية الفرنسية في الجزائر خلال فترة الاستعمار. مجلة العلامة. ع04. الجزائر.

صالح بلعيد. (2012). التخطيط اللغوي في الجزائر. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية. الجزائر.

عبد القادرفضيل. (2014). و اقع السياسة اللغوية في بلادنا بعد خمسين سنة من عمرالاستقلال. مجلة اللغة العربية. مج16. ع01. الجزائر .

محمود إسماعيل. (2015). مجلة التخطيط والسياسة اللغوية. ع01. المملكة السعودية .